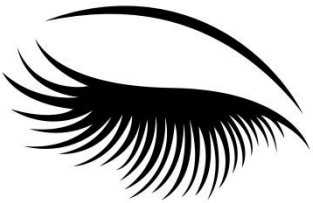

مُعَانَاةُ أُنثَى

معاناة أنثى: نصوص قصصية
الكاتب: محمد شعبان
تدقيق لغوي وإخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 14585 / 2019
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 048 - 5

دار الزيات للنشر والتوزيع :**Facebook Page**
E- mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

نصوص قصصية

معاناة أنثى

محمد شعبان

دار الأيام للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

مُعاناةُ
أُنثى

إليك وحدك دون غيرك.. يا من جف حلقي معها وشاب قلبي في انتظارها، يا من اكتفت منها عيني وذبلت زهرة شبابي بين يديها، يا من كانت في ركود حياتي الجاني الأوحد..

إلى أجمل عشرينية على الكوكب! إلى أرقى النساء! إلى الفاتنة التي يعجز عن وصفها القلم! إليك معشوقتي الأخيرة والأولى.. أكتب هذه الرواية من أجلك، أبدع وأهدي هذا العمل لعيون قلبك، ولعلها فرصة أسألك فيها، ألم تملِّي من الفراق بعد؟!!

أنتظرك على أحر من الجمر، وعلى ويقين بأنْ لا فائدة من انتظاري ولا جدوى، ولعل ذلك يجعلك تتمادين في قهر قلبي -رحمه الله-، أتوسل إليك أن تعودي، أترجاك كي أستعيد نفسي، فبعد رحيلك أنا والعدم سواء، كعصف مأكول لا قيمة له..

يطالبوني بالصمود والضحك المزيف وأنا لا أنصت إليهم، ليست المشكلة في الابتسامة المموهة، ولكن المعضلة حقًّا تكمن في اللاشعور، فبعد فراقك أنا لا أشعر، وكيف أشعر وأنت كعزرائيل قبضتِ روحي ، ولكن الله رحيم عنك؛ فهو يأخذ الروح والجسد، أما أنت فتركتِ جسدي بلا حياة ولا روح، هرولت وراءك فور رحيلك، أرجوك اسقيني من نهر اللقاء ليرتوي قلبي الظمآن، أعشقك حد الهيام، يا لب قلبي، أتوق شوقًا للإنصات إليك وفرط الحنين يرهقني.

المشكلة ليست في علاقة حب وحلقة عشق جمعتنا، ولكن المعضلة حقًّا تكمن في أنك لا وصف لك ولا شبيه، لا عوض لك ولا بديل، أنت في درجة والأخريات في درجة، تغردين وحدك في القمة والباقيات

في القاع، أتيتِ من مجرة وهن في أخرى يقطنَّ، فأنت أرقى ما حملت الأرض من نساء..

غيابك كان كارثة بكل المقاييس اجتاحت حياتي، مأساتي أنني أعشق وسقمي كما تعلمين أبديٌّ، غيرتني الحياة ولونتني بلون باهت لا أعرفه، الدنيا تُسيِّر حياتي كما ترغب رغمًا عني، وآه لو تعلمين مرارة ما أشعر به لأشفقتِ كل الشفقة على قلبي، المشكلة ليست في الفراق، المعضلة لا تكمن في علاقة مثالية احتضنتنا؛ ولكن الكارثة حقًّا في دائرة المنتصف تكمن، فعندما تفقد القدرة على التقدم وتعجز العودة، لا تملك رفاهية الحب وقلبك لا يعرف للكره معنًى؛ فأهلًا بك في دائرة المنتصف، حيث الوجع الأبدي يا صديقي.

ألم تكن التسعمائة والخمسون يومًا كافية لمعاقبتي؟؟!!

❋ ❋ ❋

"كيف حال المسكينة روحي، التي نزعتِها يوم رحيلك؟!"

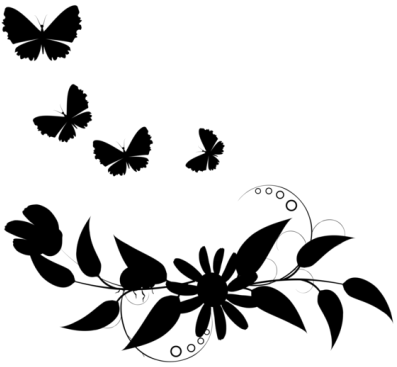

" إذا أردت أن تبدع، دع الحزن ينال منك "

أعزائي أصدقائي والناس، أكتب لكم عن واقع مرير تعيشه الناس عامة والنساء خاصة، لا شك أن البؤس باق والمكوث أبدي، الأرض مستنقع كل الإرهاق واللغوب، الكون مليء بالضجيج، والكوكب يضمنا حتى نعتصر ألمًا، والأرض لا تتسع لنا، ضاقت السبل معنا كل الضيق، أنهكتنا الحياة حتى أصبحنا شاحبين لا نشعر ولا نتألم، بلا قلب، بلا عواطف ومشاعرنا باردة، تعودنا وتأقلمنا على الحزن وكأنه شبح أجسادنا، فقدنا أنفسنا وفقدنا الشغف تجاه أي شيء، أحاول جاهدًا وصف أجواء بشعة تعيشها النساء في شتى بقاع الأرض، يعانين فقر كل شيء، الحب، الاهتمام، والبقاء الأبدي..

أمنياتهن لوحات مهملة دثرتها الأتربة، الحياة ثقيلة كل الثقل على عواتقهن، أرصد لكم كم من الوجع لا ردع له، شنت الحياة معهن حربًا لا هدنة فيها، وهن بلا سلاح يصارعن الحياة، الانتحار وحده يجذب تلك المقهورات.. المعانيات البائسات.. المنهكات.. الصارخات نهارًا وليلًا، هناك من تعاني من فراق أبدي، هناك من تعاني من الوحدة، ثمة فتاة داعبها الانتحار، وأخيرًا من تشفق عليهن كل الشفقة، إذن الجميع يعاني، والبؤس لا نهاية له، أعانكن الله يا براعم الكون..

❋ ❋ ❋

" العقل الذي لا يقرأ جثة هامدة لا روح فيها "

العقدُ الأوَّل

نصوص قصصية

معاناة أنثى

محمد شعبان

منشورات الزيات 2020

"الفراق الأبدي"

ذات ليل دامس ظلامه حد انعدام الرؤية، مشوش ليلها حد عمى بصيرتي، مرعب ركودها حد ارتجاف قلبي، مريع وقتها والحدث الجاري تشييع جنازة شاب ثلاثيني لقي حتفه في حادث مريع، وقفت في شرفتي أبكي بكاء هيستيريًّا، أرثو كثيرًا حزنًا على أحدهم وأندب.

صوتٌ مقاطعٌ: بمن تفكر يا محمد؟

ألا تعلمين حقًّا فيمن أفكر؟!، أجبتها في ذهول.. معشوقتي الأخيرة والأولى ومن غيرها.

أعلم أنك تفكر فيها، ولكن ما يؤلمني، هذه الدموع الغارقة بها عينيك!

لمَ تبكي يا محمد؟ أتبكي من فراقها؟! أم اشتياقًا لها؟؟ بصوت مذبذب: أبكي على الفراق بعض الوقت، وأحترق شوقًا البعض الآخر، ولكنني الآن أبكي على شيء آخر، ماذا بك؟!

أبكي على فراق أبيها الأبدي،

ردت أسماء في دهشة: لا أفهم، ماذا تعني؟!!

حسنًا حسنًا أنصتِ.

طفلة رقيقة في العشرين من عمرها، طويلة القامة، حميراء، فاتنة، وجه فائق الجمال، لا وصف لسحره وجماله الخالص، الأمر لا يتعلق بوصف أميرة أو إحدى ملكات جمال الكون، ولكن الأمر يتعلق بوصف حورية أسكنها الله الأرض تترنح برشاقة، ثقتها المبهرة في ذاتها تجعل من ترنحها تحفة لا وصف لرونقها، أرقى وأعذب لسان تراه يتحدث، لو تخلى العالم عن كل النساء لملأته فاتنتي آية، ثمة فتيات جميلات عدة، وهناك من يتصارع عليها الكوكب أجمع، ولكن قطعًا لا توجد أنثى تشبهها؛ فهي أعظم ما أنجبت الأرض من نساء..!

عاشت طفولة بائسة للغاية حزنًا على فقدان أبيها، التحقت بالجامعة في عاصمتنا العظيمة، جامعة القاهرة احتضنت أجمل من أنبتت الأرض بين أسوارها، تعشق الروايات والغموض، الأصفر يليق بها وهو سيد الألوان في عينيها، حماقي بطلها الوحيد ومحمد طارق الروائي العظيم حظي اهتمام قلبها.

ولكن ما إن شعرت الحياة بالغيرة منها، توالت نظرات الحسد عليها والحقد، الأمر أشبه بقمر له رونقه الخاص وكل الأعين عليه تصوب، كل القلوب إليه تميل، وكل الألسنة لا تتوقف عن ذكره، لا وصف أبدًا لسحر الأنيقة آية، فقدت أباها منذ الطفولة المبكرة، فلم تكن تتجاوز الثمانية أيام بعد، أنت لا تعلمين عن مأساة أنثى فاقدة لأبيها شيئًا، غارقة في وحل ذكريات أليمة ولطالما عجزت عن العوم والمجازفة للخروج، فتظل عالقة بين الغوص وبين الطفو والوصول للبر، ولكنها -كالعادة- تخضع للعجز عن المقاومة فتغرق وحدها في مأساة لا تنتهي، كيف للمسكينة أن تحمل شعورًا لا يردعه رجل؟! يخضع له أعظم رجال العالم قوة، فقدان الأب يا صديقتي..

اللعنة كل اللعنة على الخذلان.. الفقد.. الفراق، تجتاحها كل ليلة نوبتا صراخ وعويل لا ترجى لهما نهاية أبدًا، في أشد لحظاتها سعادة يداعبها الحنين فيعكر صفو عقلها، حتى ذبلت.. تهشمت وتحطمت.

كيف لتلك الجميلة أن يداعبها الحطام؟!

كيف لقلبها أن يتهشم وهي في ربيع شبابها؟!

كيف لها أن تحظى بالفراق الأبدي؟!

أقسم أن الحزن ينتقي الجميلات ولا نلومه على ذلك الأمر؛ لأن له رفاهية اختيار فريسته، فليس علينا أن نتهمه بالجشع يا عزيزتي، أقسم ألا ذنب له ولا إثم، أصبع الاتهام يجب أن يقصد سحرها، اللعنة كل اللعنة على أنوثتها، فهي أنثى تفوق الدرجة الأولى، وهل هناك عيون أجمل من تلك العيون كي يراها الحزن تبكي؟! أقسم أن صفاء أنوثتها هو في ذلك الأمر الجاني الأوحد!!.

تؤلمني ندبات الحزن وهالات السهر أسفل عينيها، أعلم أن غيابه بمثابة أزمة حقيقية، تحمل كل معاني الألم والحزن والاشتياق، تسببت في إحداث ذعر ورهبة في قلبها الصغير، طعنتها الحياة بسلاح محرم عاطفيًّا ولكن لا يعاقب عليه القانون، التعاسة اجتاحت حياتها حتى في أحلامها لم تكف أبدًا عن مطاردتها، يتسلل الاشتياق كل ليلة إلى قلبها المقهور، ويحدث ثورة في ذهنها الساكن، وكأن صفاء الذهن لا يهوى الفاتنات.

الحزن، الحنين والألم.. سكان قلبها، يعلنوا ثوراتهم الهائجة كل ليلة على أركانه المتهالكة، تبدأ الصراعات وتندلع المنافسة وبشراهة، وتتقلب بين الوجع تارة، الحنين تارة والحزن تارة أخرى، وفي نهاية المطاف يتوج الحنين بطلًا.

وما أصعب التعطش لأحضان جثة هامدة لا تنصت! كيف لهذه الصغيرة أن تصمد وقطعة من قلبها في أحد القبور؟!

ومن أين لها تحمل فقدان السبب الأول في مجيئها إلى الدنيا؟! كيف تطيق أن تأتي ثم يرحل دون أن تتفوه باسمه، ويتلعثم صوتها وهي توقظه من نومه في الصباح الباكر.

وفي ذات ليلة طقسها لا يطمئن، وقفت في شرفتها تتمعن في السماء، شاحبة الوجه على غير عادته، صوت "حماقي" يداعب الذين أنهكهم الفراق، ينهال بكاء في إحدى الحفلات وهو يردد "ما بلاش.. تغيب عنا تاني ما بلاش".. فقد أنهكه فراق أبيه الأبدي، قد استنزف دماء قلبه،

كلمات أثارت قلب المسكينة حد تحجر دمائها في شراييها، انغمست في خيال رائع كل الروعة وهي تبكي قائلة:

اشتقت إليك أبي، من فضلك أجبني..

أين أنت؟! لمَ رحلت عني؟!

ألست على علم بالمقهور قلبي؟!

كيف لك أن تتركني وحدي؟!

كيف لي تحمل هذه الذئاب البشرية؟!

كيف لك أن تهجرني دون سند يذكر؟!

لمَ رحلت وتركت الدنيا تنال منك؟!

لمَ اختلستْكَ المنية من طفلتك الصغيرة؟!

ألم تشتق إليَّ كما يخيم الحنين على قلبي؟!

هل كانت الثمانية أيام كافية لهذا الحد كي تتشبع مني؟!

أردت أن أتكئ على عكازك، وأحتاجك لأبكي بين أحضانك، فقدت الأمان في غيابك، قهرتني الحياة بعد رحيلك، عذبني الاشتياق

بعد موتك، السكينة لا تعرف طريقًا لقلبي الثائر، أعيش في حطام أبدي لا أرى له نهاية يا أبي، أخبرني كيف حالك يا كل حالي، أتأسف إليك كل الأسف، لكن صدقني لا ألومك؛ لأنني على يقين بأن الأمر حتمي والموت أقوى منك ومني، فقدانك كان أزمة حقيقية أشبه ببركان مثار انفجر في حياتي، لا يرجى لحممه الهدوء أبدًا.

لم أجد من يطفئ دموعي الملتهبة، لم يقدر أحدهم على سد فراغ أحدثته أنت في حياتي، أنتظرك وأنفجر اشتياقًا يا بؤبؤ عين قلبي، إما أن ترجع وهذا الأمر أشبه بقراءة كلمات على رماد ورق مهشم تلاعبت به الرياح حتى تناثر ولم يبقَ منه شيء، إما أن يأذن لي الله ويأخذني، فأنا لا أتحمل التعايش مع هذه الذئاب البشرية، أشبال آدم قاسون غاية القسوة، فقدت شغفي تجاه كل شيء، وما أصعب فقدان الشغف تجاه الكون، الناس، ونفسي.. سئمت ومللت والحياة تصارعني ولن تكف عن مضاربتي، أعيش مأساة روتينها اليومي رغمًا عني، أنا هنا أبكي حد احمرار عيني وانفطار قلبي، وآه لو تعلم مرارة فراقك وبشاعة مظهر حياتي، المشهد مفجع هنا ولا يسعه قلبي ولا تطيقه عيني، لا رادع له أبدًا، ويعجز عن فعل ذلك عقلي.

أيامي تمر بلا طعم يذكر ولا نكهة، كأنني جماد لا فائدة منه ولا جدوى، لهيب مشتعل يحرق في أعضاء جسدي، أذهب إلى القبور وما أصعب شعوري وأنت راقد لا تراني، أناديك صارخة باكية ومقهور قلبي، وأنت هامد وصامت، ويا أسفاه الأمر حتمي، أحسد القبر كل الحسد وأحقد عليه كل الحقد، فكيف له معانقتك وأنا أتعطش حنينًا إلى حضنك، الصعب هو فقدانك، والأصعب البكاء عليك والعويل الأبدي، ولكن الكارثة حقًّا هي أنني لا أملك رفاهية الاعتراض والإلحاد بما كتبه ربي، على علم بأنك في مكان أفضل ولكنك لم ترني حتى ولم تقابلني..

أنا لا أتحمل غيابك لأنه بمثابة كارثة حقيقية، سأصمت لأنني عاجزة عن وصف ما أمر به، ما أشعر به، وعاجزة كل العجز عن وصف نفسي، ثمة أشياء لا وصف لحجم قسوتها، إلى اللقاء يا أبي في مكان أفضل.

تبكي كطفل في العام الثاني من عمره، تصرخ كرضيع ساذج يتضور جوعًا في غياب أمه، أما هي اشتياقًا في غياب أبيها كعربة صغيرة هي

يحركها طفل صغير في غرفته عن طريق الريموت، تتجول في الغرفة إلى الخلف تارة وأخرى إلى الأمام، ثم إلى اليمين واليسار، هكذا تحركها الآلام.. الحزن.. والاشتياق، كل منهم يريد النيل منها، كفريسة بين ذئب ونمر وثالثهما أسد متوحش، لا حول لها ولا مهرب، المنية أقرب إليها من أم لطفلها التي رزقت به بعد غياب طويل، كالغزال هي ينقض عليها الأسد، أقصد الاشتياق عفوًا، يقلبها يمينًا ويسارًا، حتى يطمئن أنها تشبعت منه وجعًا، أمنياتها جثث هامدة في ركن غرفتها الأيسر لم تشيع جنازتهن بعد، لم تمنحها الحياة تصريح رسمي للدفن، بل تفضل الإبقاء عليها في دائرة المنتصف حيث الوجع الذي لا ينتهي يا صديقتي، أخشى عليها من لون باهت قد يصيبها، فكيف لأرق وردة أن تذبل!!

تلاحقها الشيخوخة المهووسة بوجهها الملائكي، حتمًا ستنال من فاتنة النساء، لك الله يا صغيرة قلبي، اصمدي يا عزيزتي فقط اصمدي؛ فأنت لا حق للانهيار فيكِ، كان الله في عونك يا أجمل النساء.

❋ ❋ ❋

" غيابك كان أزمة، تحمل كل معاني الألم والحزن والاشتياق، حين اشتقت إلى رؤياك، تحجرت دموعي وانفطر قلبي حزنًا على فراقك، لأنني على يقين بأن الفراق أبدي "

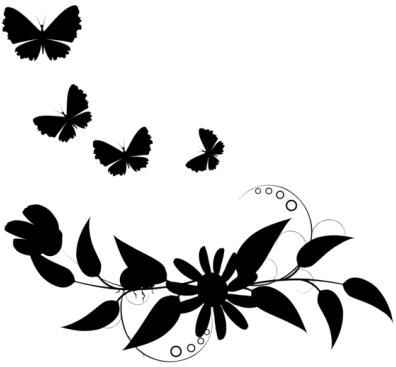

العقدُ الثّانِي

نصوص قصصية

معاناة أنثى

محمد شعبان

منشورات الزيات 2020

"مشاعر مكبوتة"

كان صباح يوم يغشيه الضباب، اندلع أسامة منير في البكاء وهو يتحدث، أحبائي.. أعزائي والناس، سأحكي لكم عن فتاة انهار لها قلبي قهرًا، قد مرت أمام عيني أشياء لا وصف لبشاعتها؛ ولكن هنا الأمر متغير تمامًا.

أميرة هاشم، الصامتة كما يقال عنها، لا تتحدث كثيرًا كنسمات خريف يتسلل إلى شرفة لا يسكنها أحد، خاوية من كل ما هو جميل، تحمل كل جماد بلا روح، هادئة وخجولة الطبع، تسعى لإشباع رغبات قلبها، ولكن يسيطر عليها خجلها، تصارع الحياة من أجل حبيب لم تخبره بحبها بعد.

أنتم لا تعلمون شيئًا عن أنثى تحب رجلًا لا يحبها، ثمة نساء عدة يعشقن رجالًا في الخفاء، على النقيض إذا رغب قلب رجل حب امرأة، فهو يهرع ليسوق لها مشاعره بطريقة أو بأخرى، ولو كبت الرجل بداخله لجن من فرط التفكير، أما الفتاة فلا حول لها ولا قوة، لا تملك

رفاهية الاعتراف بذنب الحب الذي ارتكبته، لا يحق للمسكينة إخلاء سبيل مشاعرها، تكمن وتخبئ حتى تنهار رويدًا رويدًا، فما أصعب أن تضعك الحياة بين القاسي والأكثر قسوة ولا تملك دقة الاختيار، حتمًا ستخطئ خطأ يودي بحياتك.

بكاء في الخفاء وصراخ في صمت، نبرات صوتها ممزوجة بحنين وألم، فهي سجينة مأساة أبدية لا يرجى لها نهاية، لم يصرف دواؤها بعد، ومن أين لها بالدواء والطبيب غافل عن سهامها الخفية التي تصوبها، تنتظر بشغف أن ينظر إليها نظرة العاشق علها تخجل من أن تبوح أو تخاف من أن تهمش فيصبح قلبها يسكن عقر بئر لا نور فيه، مليء بحشرات تأكل قطرات الحب في فؤادها فتموت وحيدة دون أضلع تضمها، تخبرها بأنها لن تواجه العالم بمفردها!!

تغلق الأبواب ليلًا ومن هنا تبدأ المعركة، فهي مقيدة بقيود الحنين والاشتياق..

تتوجع في صمت، أين أنت يا من عَشِقَتْه؟!

كيف لك أن تتركها تبكي ليلًا؟!

لمَ تمنحها كل هذا الكم من القسوة؟!

ماذا حل بك كي تغفل عنها كل هذه المدة؟!

من أين لها أن تطيق وجودك مع فتاة أخرى؟!

إنها الأجدر بحبك، عليك أن تعلم أنها تموت كل ليلة ألف مرة، تجول في خيالها صورة أنت البطل فيها، حتى تندلع في البكاء دون سبب، لا تستحقر دموع أحد يبكي اشتياقًا، فالحنين يكسر عظام القلب وجعًا يا صديقي، تبخره كرائحة عطر كسر زجاجها فيمر يوم ويومان وتأتي لتبحث عنه تجده رحل وهو لا تعاد تعبئته.

أتعس النساء امرأة يمتلكها رجلان، حبيب يمتلك قلبها وزوج يمتلك جسدها، لا هي تسعد بأحضان الزوج ولا هي تطال أحضان الحبيب، جسدٌ بلا قلب في مكان، وقلبٌ بلا جسدٍ في مكان آخر، مسكينة تلك التي لم تتزوج من تحب، ولا أحبت من تتزوج.

إذن لا تكبتي مشاعرك تجاه رجل أرجوك، أنا لا أطيق رؤيتك في تلك الحالة، وأنت أيها الرجل حاول متلهفًا البحث عن فتاة تحبك في صمت، حصنها من شبح الشيخوخة، الشيخوخة العاطفية أقصد.

❋ ❋ ❋

" عانقها، عانقها فالحضن أضيق الميادين اتساعًا "

محمد طارق

"ذكور وليسوا رجالًا"

عام دراسي جديد، هناك بداخل إحدى قاعات جامعة عين شمس، الدكتور أحمد طارق، الملقب بصديق من لا صديق له، وقبل الحديث عن أي دراسة أو أي شيء يخص الجامعة، أراد أن ينوه كل طلابه بالحضور الذهني والبدني للتعلم والتعليم، وكان عنوان حديثه الأول عن النساء وكسر قلوبهن، بدت ملامحه يقطنها الأسى، كانت أول كلمة يلفظها "إياكم!" "إياكم وكسر القلوب!".

سأحكي عن طالبة قصدت بابي بقلب منكسر، قاطعته إحدى الطالبات قائلة: لا نريد أن نعلم عن ثمة أشياء، فقدنا شغفنا تجاه كل شيء، لا نريد مزيدًا من الكآبة والحزن..

وجلست مطأطأة الرأس تبعتها نظرات الجميع، لاحقتها ألسنة العيون من كل أنحاء المدرج، صمت الجميع وبدأ الهدوء يفرد نفسه.

ثم تفوه قائلًا: قد وصانا نبي الله رفقًا بالقوارير يا أبنائي، فوقفت الفتاة هاربة إلى خارج المدرج، أمسك بيديها واحتضنها واندلعت في

البكاء، بدءا يتبادلان الكلمات بصوت خافت، قبلها في رأسها وربت على كتفيها، وكأنه يؤدي عزاءه الخاص في مصيبتها، فخرجت الفتاة في هدوء تام من الباب الخلفي، لاحقتها نظرات صديقاتها والحضور أجمع، وتطرق إلى الحضور وجلس على مقعده وأخذ يتنفس بصعوبة بالغة وكأنها لحظاته الأخيرة في الحياة، هو على أتم يقين بضجيج في رأس الحاضرين، أسئلة لن تتوقف وصراعات وتشويش أغشى أعينهم، فقال بصوت بائس:

"أنتم لا تعرفون شيئًا عن كسر القلوب، أكثر ما يحزنني هذه الأيام هو فراق الأحبة، ولكن ما يقهرني حقًّا هو كسر قلب فتاة، كيف لرجل أن يفعل ذلك؟! عفوًا أقصد كيف لذكر؟! مريم فتاة لم تتجاوز العشرين بعد، جامعة عين شمس، قد هجرها أحمق على حين غفلة وقلبها يرتعش خوفًا من فراقه، بعد أن أوقعها في غرامه وتأكد من اشتعال ثورات الحب والعشق في قلبها، رحل وبدون سبب يذكر، وكأنه شعر بالاكتفاء منها.

لم يرحم قلبًا قاسمه حلو يومه ومره! وضعها في وحل وأخذ كل أسلحتها للهروب؟! أطفأ لهفتها للحياة وأوقد رغبتها في الموت، أفقدها عذرية الحب، وما أبشع هذه الطريقة لفقد عذريتك وهجرك في طريقك

المرهب وهو الألم الأصعب على الإطلاق، أن يتركك أحدهم في منتصف الطريق.

فهي الآن لست فتاة عذراء الحب ولا امرأة هيمنت على عرشه، الأمر أشبه بامرأة أربعينية العمر مات زوجها، لا تستطيع الزواج بغيره لأنها تحبه، وأيضًا ما زالت صغيرة ولها رفاهية الحب.

تثور في كل من يحاول الاقتراب منها، مهووسة بحبه رغم كل ما لاحقها بعد رحيله، خارجيًّا هي هادئة ومسالمة ترسم ابتسامة مزيفة على شفتيها، وبداخلها صراخ..هول وعذاب..

الأنثى عندما تحب رجلًا يكون بمثابة النفس الذي تستنشقه لتبقي لفترة طويلة على قيد الحياة، ومهما بلغ جمالها لن تشعر به وهي مكسورة القلب، لا تدعها تتأسف مهما أخطأت، لا تترك لها حرية الاعتذار ولا تمنحها رفاهية البكاء، الأنثى بطبيعتها لا تتعمد الخطأ ولكن بساطتها وسذاجتها المسؤول الأول والأخير عن ارتكاب أي خطأ ساذج، لن تنتهي المعاناة أبدًا، ولكن علينا بالحد منها،

ثم قاطعه أحد الطلاب، واستأذنه بأن يفسر له شيئًا ما يصعب عليه، وقبل التفوه بأي شيء أمره بالجلوس قائلًا: على علم بما يدور في قلوبكم

الآن، ثمة أسئلة عالقة في رؤوسكم ولا تهدأ، من هذه الفتاة التي خرجت باكية؟! ولمَ غادرت في أول أوقات الجامعة؟! أتكون منهكة من الدراسة ومن عام مليء بالتعب؟! لكننا لم نبدأ دراستنا بعد.. أو هل هي هشة القلب فتأثرت بالحديث عن كسر القلوب؟! ولمَ لا تكون مضطرة لظروف أنثوية بحتة؟! ثمة أفكار غامضة كثيرة في أذهانكم، ولكن لمَ لا تتساءلون ربما هي ضحية أخرى؟!

فنادى صوت خافت من المقاعد الأخيرة في المدرج، صوت لم يتعرف على هويته، أو ربما هي المسكينة صاحبة حديث اليوم؟!

لم يلتفت إليه وتجاهله قائلًا "إذا كنت رجلًا وتقوى على العالم بأسره فإلا الأنثى، الأنثى يا صديقي"..

❋ ❋ ❋

" لا تحتقر دموع أحد يبكي اشتياقًا، فالحنين يكسر عظام القلب وجعًا يا صديقي "

العقدُ الثالث

نصوص قصصية

معاناة أنثى

محمد شعبان

منشورات الزيات 2020

"التنمر أنهكني"

في مستنقع ملطخ بالدماء، المجرمون كثر وجرائمهم أكثر، ولما كنَّا في مجتمع هش وبائس؛ سنلقي الضوء على إحدى الجرائم والآثام التي نرتكبها، ثمة أشياء عدة للحديث عنها، وبحوذتنا الكثير من جرائم القتل لا يعلم عنها الكثيرون بعد.

سنعيش اليوم أجواء جريمة بشعة بكل المقاييس، الأمر ليس عن سرقة منزل.. تجارة سلاح.. أو عقاقير، الجريمة لا تعني فقط قتلًا بالسلاح، ثمة أساليب عدة لإحداث كارثة، ولكنني أصوب الحديث اليوم عن التنمر، أبشع ألم نفسي على الأغلب..!

هناك أم مسكينة يبدو عليها الشحوب، وجهها باهت لونه وكأنها لم تضع في فمها أي شيء منذ أيام عدة، وكأن معدتها فارغة لا قطعة خبز تسكنها، تصرخ وتنادي بصوت يجتاحه خذلان عظيم، اقتحم قلبها

صوت صغيرتها وهي تصرخ من فرط التعب، قد حطمها ألم نفسي طال وقته، فقدت رغبتها في الحياة.

"لا شك أن الحزن لن يتوقف، اليأس أصبح غريزة نتوارثها جيلًا بعد آخر، ولن ينتهي البؤس أبدًا".

ولكن تحجرت دموعي في عيني هنا في البحيرة، آية علاء، فتاة عشرينية العمر، متوسطة الطول، نحيلة الجسد بعض الشيء، سمراء اللون، هادئة العقل والمظهر، جمالها يكمن في قلبها، لطالما سخرن المعلمات من مظهرها وهيئتها التي لا دخل لها فيها ولا تحكم، فهي طبيعة الله وسجية هيأها عليها، وما خلق الله بهين، وما خلق الله بقبيح، أي قبح والله الخالق؟!!

ظلوا على ذلك الأمر سنين عدة، ومنذ الطفولة والأمر ثائر متوهج، حتى هربت طاقتها ونفدت، ألقت بذاتها من الطابق الرابع، وفي طريقها إلى حياة أفضل، كانت بيدها ورقة ملطخة بالدماء حد احمرار لونها، تدون بها منذ طفولتها ما يمر عليها في حياتها، عنوانها "إياكم وأمي".

" هذه ليست أفضل أيامي، أنا لست بخير أبدًا، أشعر بتعب متواصل ووجع عظيم، جسدي منهك ولا أشعر بحال أفضل، ثمة ضجيج في رأسي يكاد يقتلني، أكبت الصراخ داخلي حتى امتلأت جعبتي وحتمًا سينفجر الصغير قلبي، عشت عشرينيتي الأولى كلها والوصف هزلي، لم أجمع حبًّا ولم أحظَ ودًّا ولم أرَ يومًا يبهجني، ثمة ركود كلي هيمن على حياتي حتى ذاك الذي حاولت جاهدة معه بسهولة ويسر تركني وهجرني، مشكلتي أنني عاطفية للغاية والضعف مملكتي، جسدي منهك وعيناي حمراوان ويا أسفاه على الكسير قلبي، خسرت كل شيء حتى ذاك الذي سهرت ليلًا نهارًا يرعاه فؤادي رحل عني، منذ طفولتي والأمر يمزق في شرايين جسدي، لم أجد فراغًا يضمني وحيزًا يسعني، الأرض مليئة والكوكب مكتمل ولكنني لم أجد شخصًا يشبهني، المشكلة ليست في الوحدة أو العزلة، ولكنها حقًّا تكمن في إحساسي الدائم بالغربة، دائمًا تجتاحني الوحدة أينما كنت وتسيطر على قلبي، لطالما شعرت بها ولو كان الكون كله حولي، وكأنني في خلاف مع البهجة حتى إنني لم أجد شخصًا يدعمني، أقف وألوح كغريقة ولا أحد

يسمعني، أذهلتني الحياة للحد الذي جعلني أشاهد في صمت تام مخالبها وهي تنهشني، هذه لا تعد عشرينية أولى على الإطلاق، اليأس لاحقني مبكرًا ونال مني، فقدت رغبتي في الحياة وكرهت نفسي.

كلما حاولت التأقلم دسوا سمًّا قاتلًا في أذني، التنمر كفر والمتنمرون في غفلة والعمى أبدي، البشر مزعجون والحياة قاسية ولم أجد شخصًا يرحمني، لم أبحث يومًا عن سعادة بالغة.. مال كثير..أو مكانة مرموقة في مجتمعي، ولكنني لطالما كنت أبحث عن قبولي بينكم، فقط أردت ألا أكون عبئًا على أحد، والآن حققت أمنيتي أثناء موتي، وإلى الذين سخروا مني وتعمدوا إيذائي، والذين لم يجبروا خاطري وكسروا قلبي، لن أسامحكم أبدًا ولن أغفر لكم أمام ربي، هيئتي ومظهري لم أبدِ فيهما رأيي، عشت عشرينيتي الأولى أبكي في صمت تام حتى لا أزعجكم، أنا هشة ولم أستطع مواكبة خبثكم والوهن أبدي، كان يمر يومي بصعوبة بالغة لا وصف لفرط قسوته، وبالنهاية ينتهي بي المطاف بالبكاء في حجرتي والعويل والصراخ وحدي، أرثو كثيرًا حظي وأندب ولم أجد شخصًا يعانقني، طفولتي لا وصف لها وشبابي لا يطاق، قدمت لكم أصابعي

مشتعلة كي تنير لكم، منحتكم كل ما في قلبي وتخليت عن كل ما يزعجكم، نزواتي وشهواتي لم ألتفت إليهما يومًا لأنني على يقين بأنكم تنزعجون مني، رغم ذلك لم أجنِ سوى الموت والقتل وانتهاء نفسي، قد تسببت في إيذائي من أجلكم وانقطاع رزقي، أعلم بأنكم لن تكفوا عن أذيتي حتى بعد موتي، لن أسامحكم وسأقسوا عليكم كل القسوة...!

أحبائي، أعزائي، أصدقائي وأمي، تقبلوا تحياتي من هنا وأسفي، أعتذر لكم كل الاعتذار وأرجوكم كونوا أقل قسوة من أجل أمي، أخبروها أن عشقها طرب قلبي، قدموا لها على ما شهدت عيناها عذري، المظهر بشع وكارثي حد الهلع، وحد ارتجاف القلوب قهرًا، ما لا يطيقه قلب أم ولو كان حجرًا رأته أمي، قد شاهدتني ورأت كل ما حدث في حياتي، أعتذر لها وأتعطش لغفرانها ورضاها عني، ربتوا على قلبها وطمئنوها ولو ببعض الكلمات، ولا تسخروا من ضجرها وفرط قهرها، لأن المشهد كان كارثيًّا ولا يحدث إلا في الخيال والدراما، رأسي المحطم وجسدي الغارق بالدماء والأرض أشبعت ظمأها، فلا حول ولا قوة لها عزيزتي أمي...

وأنتم يا أصدقائي، لم أفضل الموت عن الحياة؛ لأني كنت دائمًا أرهب الموت كل الرهبة وأخافه حد قشعريرة جسدي، لا تظنونني تنازلت عن حياتي بسهولة، أقسم أنني حاولت جاهدة مرات عديدة كي أتقبلها، ولكنها استهجنتني وأغلقت أبوابها في وجهي، كنت دائمًا أكبت بداخلي وأكتم ما يؤلمني حتى سئمت وطاقتي نفدت، استنفدت كل خياراتي ولم أجد أي مهرب، كنت أبكي ولم أخبر أحدًا عن سر بكائي، لطالما شعرت بالقهر ودائمًا أردد إنني على ما يرام حتى عيني لم تفضحني وأبقت على سري.

لطالما صارعت ألمي من أجل العيش بسلام، تقبلت بؤسي بصدر رحب من أجلكم وليس من أجل نفسي، حاولت مرارًا وتكرارًا البقاء بينكم، لكنني شعرت ببرود تام، شعرت ببرد الحياة على العاري جسدي ولم أجد ذراعًا يحميني ويحتضنني، صدقوني لم أذهب برغبتي، إرادتي وعزيمتي، أنا هشة كما تعلمون والجبن أسمى صفاتي، وحتمًا فعلت لأني فقدت روحي ولأن قسوتكم أقوى مني ومهما تصديت لن يجدي ردعي نفعًا، عشت فترتي الأخيرة في الحياة بجسد هالك تمامًا وقلب مهشم،

شعرت بثقلي في الحياة لذا تركت لكم مكاني، لطالما كنت ألون حياتي كما ترغبون كي أروق لكم، أعتذر منكم وأتأسف إليكم كل الأسف، لم أستطع إسعادكم ولم أجد بينكم نفسي.

أقسم أنني كنت على سفح كارثة والقسم أبدي، لا تظنوني في مكان سيئ الآن، المظهر ساكن هنا ووجدت بين القبور نفسي، أريدكم أن تعلموا أنه كان أفضل نجاح أنجزته في حياتي، قراري صائب ولا غبار على صحته، ما فائدة الحياة الباهتة التي كنت أراها في كل ثانية تمر من عمري؟!.

وإلى الذين لا يعرفونني ولا يعلمون كيف قضيت في الحياة وهلتي، لا تتهموني بالكفر والإلحاد ولا تسخروا مني، فأنتم لا تعلمون شيئًا عني، فلتصمتوا أرجوكم وما عليكم سوى الصمت، والله لو قاسمتموني يومي لأصابتكم غيبوبة أبدية، أنتم مجرد مشاهدين لا تعلمون ما يحدث خلف الكواليس، ولو أسدلت لكم الستار عن حياتي لصعقتم جميعًا من هول المنظر، فقد فاق الأمر كل المسميات، وما خفي كان أعظم.."

والله قد تأذي قلبي فور علمي بشأنك، نشتاق إليك حقًّا، نعرفك أو لا نعرفك يملؤنا الحنين إليكِ، فليتغمدك الله بالرحمة واللطف يا قاهرة القلوب.

"لمَ يا صاحبة الغمازات الجاذبة، يا مهد القلب الأبيض؟، لمَ يا سمراء القلوب، أشتاق إليكِ وأنا لم أرَك ولو لوهلة، لا أستوعب كيف يتعايشون الآن من كانوا حولك، أخبري الله ولا تستحي، فقط أعلميه بكل شيء وهو الغني عن علمك، ابكي وتنهدي وأخرجي ما كنتِ تكبتين طوال حياتك، أشفق كل الشفقة على أمك، لا أستطيع التعبير عما يدور في قلبها، أعجز عن وصف شعورها وسيعجز العالم أجمع، ما علينا سوى الصمت، ادعي لنا الله، أخبريه ما يفعلون بنا، أخبريه وهو سبحانه أعلى وأعلم، كي ينقذنا من وحل لم ينتشلك أحد منه...!

وأنتم أيها المتنمرون الساخطون على ما خلق الله، أرجوكم كفوا عنا فقد أنهكتنا الحياة ولا يوجد حيز يسع ثقلكم، توقفوا عن أذية القلوب والنفوس..

دعوني أنهي مأساة حديثنا اليوم بشيء واضح لا غبار عليه، أرى أن تسعة وتسعين بالمائة من ذوي الجمال لا يعلمون للصدق والإخلاص معنى.

هم فقط يبحثون عن لذة لحظية وسيذهبون لغيرها فور الانتهاء، فور الاكتفاء فور الإرهاق والملل، وتستمر حياتهم بهذه الطريقة الدنسة، كلما وجدوا فرصة أسمى وأجمل تركوا ما بأيديهم، يسيرون وراء اللذات والشهوات المنتهية، عافاكم الله يا أصدقاء القلوب الصادقة، الإخلاص يزين سيرتنا العطرة، الوفاء يفوح منا، والصدق والمودة والحب، لا عليكم بما يقولون عنا، أتأسف لنا بالنيابة عنهم وعن العالم أجمع، أتأسف إليكم وأنا أول المنكسرين فيكم، حفظنا الله وسلمنا من نفاقهم، اصمدوا فأنتم لا حق للانهيار فيكم، كان الله في عونكم يا أيها العرجون الأخضر الذي لا ينبت إلا ما هو جميل، زهورًا ذات رائحة عطره، قلوبًا نقية غير مدنسة، أنتم رائعون حقًّا..

❋ ❋ ❋

" لن ينتهي البؤس "

"فينسنت فان جوخ "

"مأساة أنثى"

في الشمال الغربي في مدينة بني مزار، محافظة المنيا، وفي إحدى قاعات ومراكز التعليم الثانوي، هناك العديد والعديد من المعلمين الأقوياء، صموئيل، حسان (رحمة الله عليه)، عصام محروس، طه جبريل، والكثيرين وعلى رأسهم الإمبراطور "أحمد أبو هلة"، أعظم ما أنجبت الأرض...

مدينة بني مزار: مدينة في محافظة المنيا، تتسم برونق خاص عن باقي مراكز المحافظة، تعرف ببلد العائلات، أهلها لا وصف لرقيهم وأناقتهم وطبيعتهم الساحرة، لا تحتضن سوى الفاتنات على الأغلب.

الأستاذ أحمد أبو هلة، في إحدى مجموعات الصف الثالث الثانوي، وفي بداية كورس مكثف للغة الإنجليزية، قبل البدء في أي شيء للحديث عن دراسته وأسلوبه، تطرق وطلب من طلابه الموافقة على شرح قصة إحدى الطالبات، فوافق الحاضرون جميعًا، ثم نظر إليهم في هدوء تام قائلًا:

"في ليلة هادئة يخيم عليها الصمت، وقفت ميادة تبكي بجوار نهر في مدينة بني مزار، بجانب منطقة البوريفاج الشهيرة، فتاة عشرينية العمر، يغلب عليها الحس المرهف، مشاعرها رقيقة غاية الرقة، الفرقة الثالثة، كلية الآداب، قسم اللغة الإنجليزية، جامعة المنيا، كانت تتهاوى ما بين أن تلقي بذاتها أمام عربة كبيرة كي تدهسها، أو بالأحرى كي تنقذها من غشاوة الأمل عنها والحب، وبين أن تلقي بذاتها في غيابة البحر كي يداعبها عمقه، كي يريحها من معاناة يومية لا تنتهي.

ولاحظها ابن الجيران أحمد الذي كان يلاحقها، ميادة توقفي من فضلك، لأنها وعلى حين غرة كانت على وشك الإلقاء بذاتها، سألته وهي ترتعد، من أنت؟!

شعرت ولو أنها للمرة الأولى ترى شخصًا مثله، وكأنهما لم يعتادا اللعب سويًّا، فقد أغشتها الحياة للحد الذي جعلها لم تعد تستوعب أي شيء، أو كأنها لا تصدق أن اهتمام أحدهم أصابها، شاحب وجه المسكينة تسوده شيخوخة امرأة خمسينية العمر، الإلحاد الدنيوي خيم على عقلها حتى أصبحت لا ترغب أي شيء، مرارة أيامها هوت وبشراها نكهة الصبار وعن أي لذع أتحدث! ثم وبعد نظرة طال وقتها

من أحمد إليها، سرعان ما اعتذرت له عن سؤالها، وبعد إلحاح منه على استيعاب ما يحدث، جففت دموعها وصرخت بأعلى صوت وكأن بداخلها بركان هائجة حممه، أعلم جيدًا عن وجع هذه الصيحة، صرخة طال انتظارها بعد كبت طال وقته، ثم اندلعت في الحديث وكأنها لم تتحدث مع أحدهم لقرون عدة.:

"أنا لا أطيق نفسي يا أحمد، لا أحد يهتم لأمري، لا أحد يتصارع لنيل قلبي، لا أحد يجفف دمعي، ولا أحد يربت على كتفي"..

وأكملت وهي مندلعة في البكاء:

"أما عني، أقسم إنني تحملت ما يكفي وصمدت حتى سئمت، الجميع خانني، حتى حظي لم يحالفني يومًا، أنا قليلة الحيلة وهشة للحد الذي يجعلني أتنهد وأنا أحاول النهوض حتى في أشد أوقاتي تفعمًا بالحيوية، أشعر بتعطش وبحاجة ماسة إلى الموت، لم أكن ذات يومًا خيارًا لأحد، أخيرًا كان أم أولًا، أعيش بلا صديق ولا حبيب ولا علاقة تذكر حدثت في حياتي للحد الذي جعلني أتعطش ليد العون ولو من رضيع.

حتى إنني لا أملك رفاهية الكفر بما حدث وما زال يحدث، لم ألحد يومًا بأي بركان لغوب مسني وألحق الضرر كل الضرر بقلبي، خسرت

كل قوتي واستنفدت كل خياراتي وأسلحة مقاومتي فسدت، الأمر أشبه بنزيف داخلي لا صوت له ولا صورة، حرارة دموعي قادرة كل القدرة على إشعال الثقاب، تعمدت الأيام إيذائي رغم جهادي وركوضي نحو ما أرغب، المشكلة ليست في الركوض وما يلاحقني بعده من مأساة وتعب للحد الذي يجعلني أضع رأسي المثقل على الوسادة فأصبح كجثة مر عليها قرن من الزمن، ولكنني فقدت الشغف في الركوض لأنني وبطريقة حتمية فقدته، وهذا ليس من الفراغ، ولكن كلما ركضت كلما تعقدت الأمور وأصبح سيري خلفي وكأن الأمر معي يسير عكسي، وهذا ما جعلني أنادي صارخة مرددة دومًا، فقدت الرغبة في الحياة.

دائمًا أنا الشيء وعكسه، عجز العالم عن فهمي، وعجزت كذلك عن فهم نفسي، فأنا يتيمة أبواها على قيد الحياة، أنا معشوقة بلا عاشق، محبوبة بلا حبيب، عذراء فاقدة عذريتها، أنا امرأة لم يمسسها رجل، جميلة بلا روح تحلق، لحن بلا أوركسترا، وردة جف غصنها، أنا فارغة، فارغة من الداخل يا أحمد، عرجون أخضر منكسر.

❋ ❋ ❋

" أتدرون يا أعزاء أفضل نعمة وهبني إياها ربي هي، الجبن!!
فلولاه لخلدت في نار جهنم، لولا كوني جبانًا لارتكبت أبشع
طريقة انتحار عرفها العالم، لكنت سببًا في قهر البشرية أجمع
حتى تقوم الساعة"

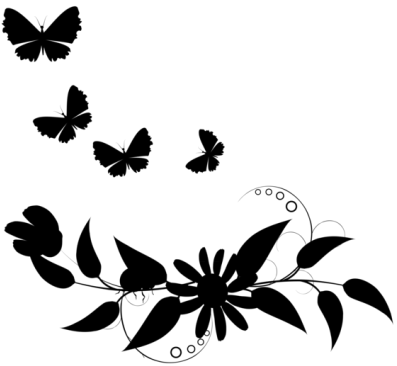

"سجينة غرفة"

وسط الأجواء الصاخبة.. السعادة.. البهجة، تحسبًا لشهر رمضان المبارك، هناك في سكن الطالبات في قرية دماريس، محافظة المنيا، في غرفة بسيطة لإحدى الطالبات، شيماء، كلية الزراعة، جامعة المنيا، الفرقة الأولى، وصديقتها غادة، كلية الطب جامعة المنيا الفرقة الرابعة، رأتها تكتب وهي مطأطأة الرأس بطريقة مبالغ فيها، فأسرعت إليها لتتساءل عما يحدث، وجدتها مغمورة في الكتابة حد اللاشعور بما يدور حولها، وبدأت غادة في الكتابة وهي تبكي..

"قرية دماريس، المنيا، مقر سكن طلاب جامعة المنيا..

وعن حالات البشر هذه الأيام، ثمة أفراح تتوافد بفضل الشهر المبارك، ثمة نساء ينفردن بعمل الكعك، ثمة شباب يذهبون إلى المصايف والفتيات يرتبن المنازل، ثمة أطفال يشترون اللعب، تنتاب الجميع على كل حال نوبة سعادة عارمة..

أما عني..

سجينة غرفتي منذ الطفولة، لا أتذكر الخروج من غرفتي في أحد الأعياد، لا أتذكر أحدهم تقاسم التهاني معي في هذا الشهر، لا أتذكر أحدهم أبهجني برسالة قبل قدومه، لم أشعر يومًا أن قدوم المناسبات والأعياد أبهجني، لم يفكر أحدهم أن ينتشلني من وحل الوحدة التي أوشكت على قتلي، لم يوقظني من النوم صوت رسالة من أي شخص، انتابني شعور وكأنني لا وجود لي بالمرة، أشعر وكأنني أصرخ وحدي بين جثث هامدة، لا أحد ينصت ولا يسمع، كلاهما واحد ولكن السياق هكذا أفضل..

فأنا أشبه بباقة ورد صناعية لا طعام لها ولا شراب، وحدي أزين حياة الجميع بلا مقابل وأنسج لهم ثياب الفرح والسرور دون أتعاب، فرط التفكير كل ليلة يؤرقني، أتحسر شوقًا على ربيع شبابي الضائع، المسألة أصبحت أعظم من أرق النوم، لم يقرع بابي أحدهم ليتساءل ماذا يحدث..

أقسم إنني أكره قدوم المناسبات، فهي الأوقات الأشد قسوة، لا أنكر أن الحزن توأم روحي والبكاء صديقي الأبدي، ولا أعترض على أن البؤس رفيقي الأزلي، الخذلان يرافقني أينما كنت والتعاسة تطاردني حتى في أحلامي لم تكف يومًا عن مطاردتي، كلها أشياء مُهلكة لا يرجى لها الرحيل عني، ولكن المناسبات مغايرة تمامًا، فقط عند قدومها أشعر بالشفقة على نفسي، السعادة تصافح الجميع وأنا غارقة في البكاء وحدي؟!

استدرجتني الوحدة لمرحلة لا توصف من الكآبة، فأصبحت لا أبتسم حتى بشفتيَّ، الابتسامة لا تعرف لفمي طريقًا.. ثمة انفجارات تحدث في رأسي المثقل، ثمة أنهار من الدموع تزرفها عيني، ثمة براكين مثارة تحرق في قلبي لا يرجى لحممها الخمول أبدًا، رأسي مثقل بالتفكير للحد الذي جعلني أتساءل، بأي مطرقة الحياة تقرعني؟!

" الإهمال بعد الاهتمام، قتل نفس بريئة بغير حق "

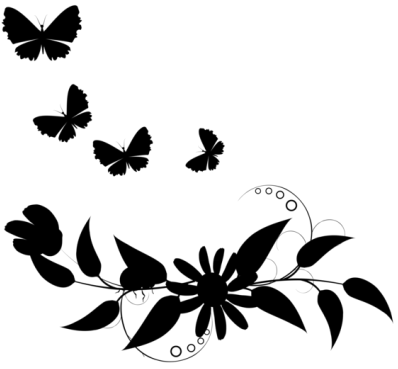

العقدُ الرَّابِعُ

نصوص قصصية

معاناة أنثى

محمد شعبان

منشورات الزيات 2020

"الشيخوخة تطاردني"

منذ ما يقارب الثلاثة أعوام تقريبًا، في نهاية ليلة عنوانها الفرح والسرور، وفي إحدى حفلات الزفاف، هناك في قرية الجرنوس محافظة المنيا، جلس رجل كبير السن، في السادسة والسبعين من عمره، يدعى الحاج محمد حمودة (رحمة الله عليه)، رجل متوسط القامة وممتلئ الجسد بعض الشيء، كل تجعيدة في وجهه تحكي قصة شقاء عاشها وتعب، اجتمع شيخنا الكبير بمن تبقى من الفتيات والفتيان، ثم أوقد بعض قطع الخشب كي تمدهم بالدفء وتحميهم من البرد، واندلع في الحديث عن النصيب والقدر، والمأساة التي يسببها كل منهما أحيانًا، وتمتم قائلًا:

منى فتاة في العقد الرابع من عمرها، لم يبتسم لها القدر بعد ولم تحظَ بالحياة الزوجية كالأخريات، ومهما تمادت أمها في الوعود الكاذبة بأن السعادة قادمة، وبالغ أبوها في القسم بكلمات غزل في جمالها؛ لن يجدي ذلك نفعًا، يؤلمني اشتياقها لباقة من الورود تلتقطها بعد أن تلقيها صديقتها في حفل زواجها -عفوًا- أقصد ابنة صديقتها.

تقف وحدها في غرفتها تهرول يمينًا ويسارًا، تنظر للمرآة ليلًا لساعات طويلة ثم ومن كثرة البكاء وفرط الحنين إلى حضن أحدهم تنخرط في عالم الخيال المزيف، تتخيل كأنها تحضر لزوجها وجبة الإفطار، تتخيل وكأنها تقاسمه فنجان قهوة، يعانق يديها ويتمادى في تدليلها، تستنجد بأحضانه وقت رهبتها، حين تقسو عليها الحياة تبكي بين أحضانه، ثم تأتي شقيقتها الصغيرة قائلة بسذاجة:

منى! منى! متى ستتزوجين يا أختي؟! أريد أن أرى حفل زفافك، أن أراك على المسرح والجميع إليك يصفق، أرغب وبشدة في ارتداء ثوب جديد يوم عرسك، أتوق وبحرارة لأن أكون خالة حنونة على طفلك الصغير، متى يا منى؟ لقد تأخرتِ للغاية! لمَ لم يجاهد أحدهم لاختطاف قلبك؟! ماذا عن أقاربنا! لمَ لم يتزوج أحدهم بك يا منى؟!!

الأطفال ورغم بساطتهم وسذاجة أسلوبهم في الحديث أحيانًا تجتاح نبراتهم قسوة تشل تفكيرك، صمتت وكأنها طعنتها وبداخلها تركت السلاح.

وأي إجابة سوف تجيب؟!

"لا شيء يريحنا في الصمت ولكنه علاجنا الوحيد، المقهورون في هذه الدنيا ثلاثة أنواع، نوع يتحدث فيرتاح قلبه، ونوع يتحدث فيزداد سوءًا، أما عن الآخر فأملكه على كوكب الأرض وحدي، وكأن لساني مبتور لا وجود له بين فكي فمي، لا أتحدث ولا أتفوه بأي شيء وهذا الأمر أشبه بنزيف داخلي لمشاعري، سأموت حتمًا من الصمت قهرًا، ثم صرخت باكية..

"هذه ليست خياراتي، لا أملك رفاهية التبرير ولا تصميم أركان حياتي، لا أستطع المضي قدمًا، الأمر لا يتوقف فقط على النصيب والقدر، الأمر أصبح حتميًّا وبفارق سني أصبحت أتألم، أشعر باختناق ونفسي تكاد تقتلني، قسوة ما أمر به لا وصف لبشاعتها، خسرت كل مقوماتي وفقدت عذريتي دون تدخل أي رجل يمسسني، أنا هنا أبكي وحدي، لم أكن تلك التي تزوجت وأنجبت وفي مستقبلها تبني، ولا تلك التي لم تتزوج بعد والجميع يرغبني، لم أكن يومًا خيارًا لأحدهم، لا

أتذكر أنني أرحتها يومًا من البكاء عيني، لا أتذكر أحدهم ربت على قلبي، دموعي المنهمرة لم تجففها سوى يدي، أعيش كل يوم وكأنني أركض آلاف الأميال، عمري يمضي والسنين تتداول بين الناس وأنا لم أَنَل حقي، كل شيء أصبح في عيني الصغيرتين هزليًّا،

باهت وشاحب أي لون مشرق والعمى أزلي، لم أدرك حقيقة ما أنا عليه إلا في أواخر عمري، أشعر بتعب ولغوب حتى النهوض من مجلسي يرهقني، ثمة أمنيات في حياتي كالأخريات تجذبني ولكن في أي وقت سوف تتحقق كي أقر قلبي وعيني، أشعر بخيبة أمل لا تفاؤل يعقبها، لا تتحدثي معي في هذا الأمر مجددًا، عليك غضب الله واللعنة، لمَ ذكرتِنِي بما لا أطيق تذكره؟، لمَ نهشتِ بكلامك في المسكين قلبي؟، سأصمت وأكبت حتى أنفجر قهرًا، وداعًا يا صغيرتي في حديثٍ أقل حزنًا".

لا عليك يا عزيزتي، أنت هنا في حياة مسالمة لا معاضل فيها، أعلم أنني الآن أكذب، لأنك في حرب ذاتية بينك وبين نفسك وما أصعب أن تعادي ذاتك، الخوض في معركة من هذا القبيل يفقدك كل شيء، في كل

الظروف أنت الخاسر الأوحد، ولكن أنتِ أفضل بكثير من أن ينال منك عفن الروتين اليومي للحياة الزوجية، وقدرك محتوم ونصيبك سينال منك لا محالة، الله وحده يتولى قدرك، الله وحده يرعى قلبك، وكفى بالله وكيلًا يا سجينة الوحدة..

❋ ❋ ❋

" أما عن الأنثى، سلامٌ على برعم الحياة "

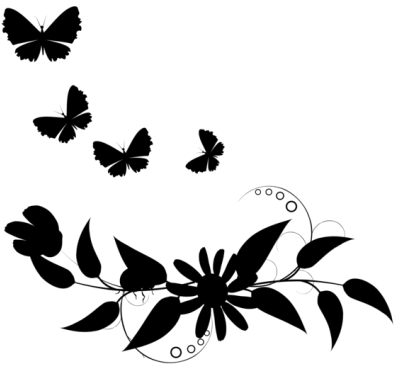

العقدُ الخَامِسُ

نصوص قصصية

معاناة أنثى

محمد شعبان

منشورات الزيات 2020

"العقم يقهرني"

زينب امرأة عقيمة في العقد الخامس من العمر، شهر واحد يفصلها عن إتمام الخامسة والأربعين، لديها ولدان وفتاة صغيرة، تعيش أجمل لحظات السعادة المأساوية بين أطفالها الثلاثة، تدللهم كل ليلة حتى يغلبهم النوم، كرست كل وقتها لأطفالها الصغار.

ذات ليلة هادئة، الكساد الآدمي عليها يسيطر، استرقها الخيال مأساوي النهاية رغم روعة بدايته، استدرجها كي يغيب عن عقلها الواقع وكأنه زجاجة من النبيذ الفاخر، جلست كي ترضع طفلتها الصغيرة رهف وتحدق بوجه الطفلة الملائكي، أبهجتها لوعتها في الانقضاض على ثدييها، ثم وبأعلى صوت صرخت، كفى يا رهف، كفى يا صغيرتي!..

لا عليك أن تلتهمي بأسنانك صدري، وينادي عليها الواقع المرصع بالقسوة، ماذا تفعلي أيتها الحمقاء أفيقي، وحدها الآلام تنهش في

نهديك، ثم ودون أدنى مقاومة خضعت للواقع الحتمي، وأزالت الطفلة من على صدرها، عفوًا! عفوًا! أقصد الدمية!!

نعم يا صديقي، فهي امرأة عقيم ستكف قريبًا عن استكمال حلمها وستنقطع حبال أمنياتها الهشة، شهر واحد يفصلها عن الحرمان الأبدي، الرحم على وشك الرحيل الأزلي، في سن الخامسة والأربعين يعلن عن الإنجاب إلحادَه، ثم يغلق أبوابه المتهالكة من كثرة حمل أبناء قابيل القاتل، ويرحل دون سابق إنذار ليرهقها الحرمان من حمل طفل رضيع بين ذراعيها، يحرك المياه الراكدة في جعبتها، أقصد يطفئ البراكين الثائرة، يراودها هنا كابوس مرعب، تصرخ في وجه ولدها الكبير أحمد.. "ما تضربش أخوك يا حبيبي، لأني تعبت جدًّا، ماشي يا حبيبي؟" أشار برأسه للموافقة الكبير أحمد، خضع لكلمات أمه المؤلمة غاية الألم واحتضن أخاه الصغير علي، ثم أتى زوجها ينزع الطفلين من بين ذراعيها فتفيق وجعًا من قسوة الحدث، تخرج من كابوسها أثناء نومها وترجع يقظة لكابوسها الأعظم، فما أصعب كوابيس اليقظة، وفي هذا

الوقت صوت أذان الفجر يطمئن القلوب، ثم تصرخ، أعطني صغاري أيها اللص من أنت؟!

يبكي زوجها ويربت على كتفيها، "كفاك يا عزيزتي من فضلك، كفاك عجزًا عن ردع شبح الحزن، وشاح البؤس لا يليق بك".

وكأنها لم تفِق بعد، رددت بصوت عال مرة أخرى، "أعطني أحمد وعلي" وأخذتها نوبة بكاء هستيرية، فألقى زوجها بالطفلين جانبًا، عفوًا! أقصد بالدميتين.

فهي لم تلد بعد ولم تحظَ بصغير، ولكن أخذت من الجماد سندًا، أهناك أقسى من هذا الإحساس أبدًا؟!

ثم احتضنها زوجها واندلع في البكاء معها، هما حقًّا مثيران للشفقة، إن هذا هو انفطار القلب بعينه، اتخذت المسكينة الجماد أطفالًا لقلبها.

اللعنة كل اللعنة على من تعذب أولادها، اتعظ من مأساوية عالم تعيشه امرأة غيرك، انظري لاحتراقها شوقًا لحمل رضيع تقهرينه أنتِ،

العالم هزلي لا معنى له في عينيها، شهر واحد وتكف عن التمني، الأمر لا محالة حتمي، غارقة في بحر دموع لا يخت فيه ولا سفينة.

تؤلمها مداعبة أم لطفل صغير أمام عينيها، تنظر إليها وكأنها غاية امتلاكها أشبه بالنيل من النجوم، البؤس يقطن قلب امرأة لا حول لها ولا طفلة، السعادة تختبئ وعليها التعاسة تتهافت، ثم ينتهي بها المطاف بالبكاء، البكاء فقط ولا شيء غيره.

ويحتضنها زوجها قائلًا وهو يبكي:

"أتأسف لك كل الأسف، لم أستطع منحك حقك، أشعر بك وبخيبتك، أعتذر منك يا عزيزتي، ولكن ما باليد متنفس وأنت تعلمين، الأمر أقوى كثيرًا من حبي وحبك ومنك ومني، وحده الله قادر على جبر خاطرك، سيلملم جراح قلبك الكسير، سيجمل مظهر أيامك المهلهل، سينير عاجلًا دربك المعتم، سيلطف قريبًا ألمك الشنيع، سيرزقك بحمل طفلك الصغير، سيجبرك أنت وزوجك المسكين، في الحالتين اصمدي، لا تنهاري، رزقتِ أم لم ترزقي، فقط اصمدي، وأقسم لك إن الفرح

قادم، إن لم تنالي ما يبتغي قلبك؛ الجنة ستكون في انتظارك، لا تتعجبي من طفل صغير يقودك إلى الفردوس يوم الهول، فهو مبتغاكِ في الدنيا الذي لم تنالي منه، إنها الدمية يا عزيزتي.

ومن يعرف قد تنالين في هذا الشهر ما افتقدتِ طوال حياتك، لا تنظري لقلة الأيام المتبقية، يغير الله من حال إلى حال في طرفة عين، فقط اصبري وما عليك إلا السلوان والصبر، وتذكري حين أيقظتك من حلمك الوردي وكابوسك المرعب حين كنتِ تحظين بطفلين، وحده صوت أذان الفجر كان يجمل الأجواء ويطمئن القلوب المرتعدة، وأحلام هذا الوقت تحقق لا محالة، إذن ستنالين حلمك وترزقين بطفلك، كان الله في عونك يا زوجتي، حبيبتي، طفلتي، وأمي...

❋ ❋ ❋

" المرأة هي ثلثي العالم، الرجال، النبات، الجماد والهراء، هم الثلث الآخر "

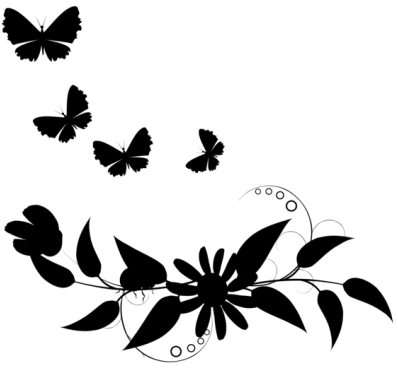

العقدُ السَّادِس

نصوص قصصية

معاناة أنثى

محمد شعبان

منشورات الزيات 2020

"سذاجة طفلة"

في مساء يوم هادئ، هناك في عروس الصعيد، فتاة رقيقة تسمَّى رنا، كلية رياض الأطفال، جامعة المنيا، لقبها رفيقاتها بالساذجة، رنا تحظى بانفصام الشخصية، فهي طفلة عشرينية في الخمسين من عمرها، هي عشرينية ولكن وما إن تنفرد بذاتها وحيدة تتعرى من جلباب سن الشباب.

في يوم من الأيام طرق أبوها بابها واستأذنها بالدخول، وسألها مسرعًا قبل التفوه بأي شيء:

رنا ماذا بك؟!

لا شيء يا أبي، فقط لا شيء.....

كيف هذا يا صغيرتي، الأسى يقطن وجهك! ماذا بك؟! هل لك أن تخرجي ما بجعبتك؟!.

حسنًا! حسنًا! أرجوك أنصت..

في الثامنة من عمري، كنت أظن أن الدنيا بسيطة للغاية، كنت أعتقد أن الحياة أبدية، كنت أعتقد أن الموتى لا يشعرون، كان يقودني إحساس أن الأرض هي الكون بأكمله، كانت السعادة تملؤني عند قدوم الأعياد، لطالما كنت أرتعد عند رجوعي إلى منزلي متأخرة، كان أكثر ما يحزنني الرجوع من مدرستي ولا أجد أمي.

كان أكثر ما يبهجني الغرق في النوم بين ساقي قلب الحنونة جدتي، أكثر ما أذهلني نيل الفأر من القط في كارتون توم وجيري الشهير، أكثر ما أثارني للبكاء نيل القط من الفأر، كنت أبكي على أحدهم مات مقتولًا في مشهد هزلي بداخل التلفاز لا يمت للواقع بصلة، كل هذه التفاهات اجتاحت طفولتي، صغيرة كنت أم ساذجة لا أعرف.

حتى كبرت ونضجت وتعلمت أن..

الحب هو الإحساس الأجمل في العالم!!

الهوى أول درجات الحب وتعني ميل النفس إلى الشهوة!

الهوى طريق لا يسلكه قلب امرأة أبدًا!!

العشق ينتاب قلب المرأة بأسهل ما يمكن!!

الود هو خالص الحب وألطفه وأرقه!!

الإدمان هو مرحلة لا تصل لها أي أنثى!!

الهيام هو مرحلة لا يتقنها سوى محمد شعبان وحده!!

السقم هو مرحلة لا يعرفها سواه أيضًا!!

الشك هو شعور قادر على تدمير أقوى علاقة!!

الغيرة هي شعور أشبه باختناق روح طفل ساذج!!

الإهمال هو قتل نفس بريئة بغير حق!!

الخيانة هي زنا في المشاعر!!

خيانة المرأة أفظع من خيانة الرجل!!

الرجل يخون بشهوته أما المرأة بعواطفها!!

الفراق اللحظي يستعيد العلاقة وبمتانة أعلى!!

اضطراب الثقة هو بداية ذبلان الحب!!

الفراق هو استئصال عضو دون مخدر!!

لا أدري لمَ لم يكن الفراق من الكبائر!!

أجمل نساء الأرض غنية عاشقة لفقير!!

أقبح نساء الأرض فقيرة عاشقة لمال غني!!

أسعد نساء الأرض من أحبت رجلًا لا يتغير!!

أتعس نساء الأرض من أحبت رجلًا مهملًا!!

وهذا ليس كل ما تعلمته وما زال للحديث بقية!!

❋ ❋ ❋

الخاتمة

إلى البائسات في حياتهن.. المهشمات.. المتعطشات للموت.. إلى اللواتي يعانين من فقر الاهتمام.. يا من أحرقتها مرارة الفراق والميم حاء.. إلى جدار قلب أنثى هشمه البؤس.. إلى التي تحولت أحلامها الوردية لحطام واستنجدت بأحمق لا يبالي.. إلى التي سهرت حد تكون الهالات السوداء أسفل عينيها.. إلى التي صمدت حد التحطم وتحملت حد الانهيار.. يا من صبرت حد نفاد صبرها.. التي تعاني من الوسواس القهري.

إلى الأنثى بشكل عام وإلى معشوقتي بشكل خاص، إليك سلامي يا برعم الحياة، أنتِ الشيء الأجمل في الكون بأكمله، لاعليك من الحمقى مهما أخطأتِ، لا تتقدمي لهم بباقة ورود للاعتذار أبدًا، وحدك تستحقين أن يعتذر لك قبيلة الرجال أجمع، الحياة بدونك فراغ كل الفراغ،

أنتِ الركن الأعظم لجدار الكون، أنتِ الشمس المضيئة في عالمنا، أنتِ منبع السكينة.. الطمأنينة والحب، أنتِ السلام الذي يثور وقت الحرب، أنتِ السعادة التي تعصف رياحها وقت الحزن، أنتِ الأم... الابنة.. الأخت.. الصديقة والحبيبة.

أنتِ في مرحلة الطفولة البساطة والرقة، وجهك ملائكي في سن الشباب، الجنة تحت أقدامك في وقت الأمومة، أنتِ روح الحياة في عهد الشيخوخة، في العقد الأول أنتِ ساذجة، في العقد الثاني يداعب عطر جمالك الرجال، في العقد الثالث هدوءك وملامحك الوردية يخيمان على العالم، في العقد الرابع أنوثتك ترفع لها القبعة، في العقد الخامس الرزانة والرصانة ينسجان ثوبك، في العقد السادس تهرع التجاعيد للنيل من ملامحك الملائكية، في العقد السابع يقطن المتعطشون للأمان بين أحضانك، باختصار أنتِ الكون، الكون بأكمله يا برعم الحياة، اصمدي يا عزيزتي فقط اصمدي، فأنتِ لا حق للهلاك فيكِ. كان الله في عونكن يا أرق الكائنات...

❋ ❋ ❋

إهداء

إلى الفاتنة: آية

" بؤبؤ عين قلبي "

إهداء

"إلى الذي قال لي: تعرى من زي الأستاذ، تعرى من وقاره، لم يعد يليق بك، لم تعد تناسبك هيبته، لم يعد يضرب المثل بك، أصبحت كعصف مأكول لا فائدة منك ولا جدوى، فقط انزعه وتجرد منه"

أعتذر منك يا عزيزي، فالأسد يمرض ولا يموت، هذا الوقار خلق من أجلي، سأعود وبأمر الله ولن أرحم أحدًا، وإلى من سخروا مني بعد إخفاقي الدراسي أقول لكم: "أين أنتم الآن؟! سأذهلكم حد عمى أعينكم، وما خفي كان أعظم"

❋ ❋ ❋